القول الصحيح
في تعيين اسم الذبيح

بقلم
خَادِمِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ
أَبِي الْفَضْلِ العباس
أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُور قُرْطَام

كان الله له ولوالديه ولمن علمه ومن كان له فضل عليه

الطبعة الأولى

1445 هـ - 2024 ر

ISBN: 978-9938-78-758-0

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منزل الحُجة والصلاة والسلام على صاحب المحجة وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى كل من اهتدى بهداه واتبع نهجه، أما بعد،،،

فإن سبب كتابتي لهذه الرسالة هو تعرض ابنتي زينب حفظها الله ومعلمها لموضوع الذبيح، فأراد المعلم أن يلزمها بأن الذبيح هو سيدنا إسحاق عليه السلام، وقد أبت منه ذلك على رغم أنها كانت صغيرة، وذلك بناءً على ما تعرفه وتسمعه في بيت أبيها بأن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، وقد استدل عليها المعلم ببعض الأفلام الوثائقية مرئية كانت أو مسموعة، وما يدور على بعض ألسنة المفكرين والمثقفين، وكل ذلك ليس بشيء جديد بل إنه قديم وقديم جداً، فقد قال به بعض علماء

المسلمين وهو خطأ واضحٌ لمن مارس علم التاريخ والتزم الضوابط الشرعية، فكل ما ينبني على قبول الخبر ورده متوقف على الشرع عندنا معاشر المسلمين بشرط التزام الصدق والصواب في كل ما ينقل ولو كان مخالفاً لما هو عليه، وذلك من أجل الوصول إلي الحق المطلوب، وهو ما سأبينه مفصلاً إن شاء الله، مغلقاً بذلك لكل الأبواب إلا بابَ الحق والصواب، مع وجوب العلم أن بعض من ألَّف في هذا الموضوع من علماءنا كالحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" و"قصص الأنبياء" والحافظ السيوطي في كتابه "الحاوي للفتاوي" قد توسعوا في الموضوع توسع خِرِّيت، ولكنهما في نهاية البحث لم يعينا من هو الذبيح مع أنهما نقلا أقوال كِلا الفريقين، وأنا من كتبهما الثلاثة نقلت ولكنِ قدمت وأخرت لأن الحق قصدت وبذلك يستقيم بحثي هذا الذي أردت، وزدت بعض المسائل الأصولية،

وبيَّنتُ بعض القواعد الحديثية مع إضافة أشياء من علم التاريخ التي لا يُستغنى عنها في هذا المقام لأن التاريخ لا يُنسخ والواقع والحال بعد تحقق حدوثه لا يُرفع، ثم جزمت بتعيين اسم الذبيح وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام بلا شك ولا ريب وهو الحق الذي قصدت وبذلت الجهد والوسع فيما توقفت عليه واعتمدته وسميته "**القول الصحيح في تعين اسم الذبيح**".

فأقول مستعيناً بمن بيده الحول والقوة وعلى وفق ما طلب مني ذلك المعلم أن أستدل بالكتاب أولاً وبالسنة ثانياً ثم ما أصلناه سابقاً وذلك لكي نفهم ونضبط كلام الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم أنقل بعض ما جاء في التوراة وكيف حرَّفوا ذلك الكلام حسداً من عندهم، على أننا لا نبيح النقل من هذه التوراة الموجودة بين أيدينا الآن لأنها محرفة، وكل ما هو محرف لا يصح النقل عنه ولا منه؛ لأنه كما

يحتمل الصواب يحتمل الخطأ لما بينه السخاوي في كتابه "الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل"، وهو مأخوذٌ من القاعدة العامة "أن كل ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال"، مع وجوب العلم أن المسائل التاريخية لا تقبل إلا وجهاً واحداً إما خطأً وإما صواباً وهما لا يجتمعان كما ذكره أيضاً السخاوي في كتابه "التوبيخ لمن ذم التاريخ"، ومن هذا القبيل قصة سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق عليهما وعلى رسولنا السلام، فلا يصح أن يكون الذبيح إلا واحداً منهما لا الاثنان معاً لأن النصوص لا تحتمل أن تتنزل إلا على واحدٍ بعينه منهما عليهما السلام، والسبب في ذلك إجماع المؤرخين من علماء الشرائع على أن الذبيح واحدٌ منهما فقط.

فصل الذبيح في كتاب الله عز وجل

قال تعالى حكايةً عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ، رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾"الآيات 99-113 من سورة الصافات"، فقد دلت الآيات على أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما هاجر من بلاد قومه سأل

ربه أن يهب له ولداً صالحاً، فبشره الله بغلامٍ حليم وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام، فهو أول ولد بُشِّر به سيدنا إبراهيم عليه السلام وهي البشارة الأولى في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، والبشارة الثانية جاءت مصرحاً فيها باسم إسحاق عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ والعطف هنا للمغايرة لأن التأسيس مقدم على التأكيد إذا تعارضا لأن التأسيس فيه حكم جديد بخلاف التأكيد وإلا كان تكرار لا فائدة فيه والقرآن منزه عن مثل هذا، ولهذا لم يجمع ذكر إسماعيل وإسحاق مع أبيهم إبراهيم في القرآن إلا وقدم ذكر إسماعيل ثم إسحاق على الترتيب فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾"الآية 133 من سورة البقرة"، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطِ﴾"الآية 136 من سورة البقرة"، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾"الآية 140 من سورة البقرة"، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾"الآية 84 من سورة آل عمران"، وقال تعالى في سورة النساء: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى﴾"الآية 163 من سورة النساء"، وفي سورة إبراهيم قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾"الآية 39 من سورة إبراهيم" فالعطف في الآية يفيد النسق والترتيب، فيتبين لنا من هذا النسق القرآني أن سيدنا إسماعيل هو أكبر من سيدنا إسحاق، بل قد نصت كتبهم أن سيدنا إسماعيل عليه السلام ولد ولسيدنا إبراهيم عليه

السلام ست وثمانون سنة، وولد سيدنا إسحاق عليه السلام وعُمرُ سيدنا إبراهيم عليه السلام تسع وتسعون سنة، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾، قال مجاهد: أي شبَّ وصار يسعى في مصالحه، عندها رأى إبراهيم في المنام أنه يؤمر بذبح ولده وبِكرِهِ العزيز على قلبه والذي جاءه على كبر، ولم يكن له غيره حتى ذلك الحين، ومما هو معلوم ومقرر عند العلماء أن رؤيا الأنبياء نوعٌ من أنواع الوحي؛ لأن قلوبهم لا تنام لما جاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (رؤيا الأنبياء وحي)"رواه البخاري"، وهذا اختبار وابتلاء من الله عزَّ وجلَّ لخليله، وفي الحديث: (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)"رواه الترمذي في سننه وقال: حسن صحيح"، والحكمة من ذلك رفع الدرجات في الدنيا والآخرة، فامتثل عليه السلام أمر ربه وعرض ذلك على ولده ليكون ذلك أطيب لقلبه

وأهون عليه من أن يأخذه قسراً أو يذبحه قهراً، فبادر الغلام مستجيباً وقال: ﴿قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، وهو جواب فيه غاية التسليم والخضوع والانقياد والطاعة لأمر الله، فألقاه على وجهه لئلا يشاهده حال ذبحه كما قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحَّاك، وسمَّى إبراهيم وتشهَّد الولد للموت، فنودي من الله عز وجل ﴿أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ أي حصل المقصود من اختبارك وطاعتك أمرَ ربك، بأن بَذلت ولدك للقربان وهو أعزُّ ما تملك، كما أُلقيَ جسدك للنيران وبذلت مالك للضيفان، وهذا من أعظم البلاء، فجاءت البشرى من الله سبحانه وتعالى بأن فداه بذبحٍ عظيم، والمشهور عند جمهور العلماء أنه كبش أعين أقرن لم يُرى قبله ولا بعده مثله كما رواه الطبري في تاريخه عن ابن عباس قال: "كبش قد رعيَ في

الجنة أربعين خريفاً"، وعن ابن عباسٍ أيضاً قال: "هبط عليه من ثبير كبش أعين، أقرن، له ثغاء، فذبحه، وهو الكبش الذي قرَّبه ابن آدم فتُقبل منه" "رواه ابن أبي حاتم في تفسيره"، قال مجاهد: "ذبحه بمنى عند المنحر"، والمعروف أن مكان المناسك والذبائِح منىً من أرض مكة، كما أن السعي بين الصفا والمروة فريضة جارية تبعاً لأمه هاجر عليها السلام؛ لأنها أول من سعى بهذه الهيئة، وهي سُنَّة جارية إلى أن يرثَ اللهُ الأرض وما عليها، وقد بقي قرنا الكبش معلقين في الكعبة حتى بُعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لما جاء عن صفية بنت شيبة أم منصور قالت: أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا، أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عثمان بن طلحة وقال: (إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما، فخمرهما فإنه لا

ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي)"رواه أحمد في مسنده"، قال سفيان: لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احتراق البيت فاحترقا، **قلت**: وفي تعيين مكان الحادثة دليل قوي على أن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، فقد كان عليه السلام مقيماً بمكة، بينما كان سيدنا إسحاق عليه السلام مقيماً ببلاد كنعان من أرض الشام، ولم تثبت إقامة لسيدنا إسحاق عليه السلام في بلاد الحجاز عامة وبمكة خاصة كما هو معروف عند علماء التاريخ وغيرهم، ولا نعلم أنه قدم مكة في حال صغره ولا شبابه، إلا ما كان من مجيئه حاجاً؛ لأنه ما من نبي إلا جاءها حاجاً، ومن ادعى غير ذلك فعليه البيان والحجة والبرهان؛ لأنهما الميزان في صحة ثبوت الأشياء أو نفيها، ولولا ذلك ما حُقَّ حقٌّ ولا بَطل باطل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾"الآية 111 من سورة البقرة"، وقد

جاءت الآيات مصرحة بأن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام؛ فقد ذكر المولى قصة ابتلاء إبراهيم بالذبيح ثم عقَّب سبحانه وتعالى بالبشرى فقال جلَّ مِن قائل: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وكما هو معلوم أن السياق القرآني علمٌ مستقلٌ بذاته لابدَّ من مراعاته والتنبه له عند تفسير القرآن، وهذا للأسف ما غفل عنه كثير من الناس، وما أجمل ما أتى به محمد بن كعب القرظي في هذا المقام مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾"الآية 71 من سورة هود"، فقال: "فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له، وهذا لا يكون؛ لأنه يناقض البشارة المتقدمة" ا.هـ، فلو سلمنا جدلاً أن الذبيح هو سيدنا إسحاق عليه السلام لما بقي هنالك معنى للابتلاء؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام

يعلم بما سيحصل له من عظيم البلاء، ثم يعلم متى يُفرِّج المولى عنه، وبهذا لم يبق معنى ولا مغزى للقصة، والقرآن منزهٌ عن هذه المعاني الركيكة؛ لأنه معجزٌ في ذاته ولفظه وتركيبه وطريقة استدلاله وسياق الحكاية وكله حِكمٌ وعبر، على أن ما جرى من قصة سيدنا إسماعيل والسيدة هاجر عليهما السلام كان لأجل حكمة عظيمة ستبقى ما بقيت السماوات والأرض وهي عبادة الحج وما يتعلق بها من تواضع وصبر وبذل للأموال والمهج، والنحر والرجم والوقوف بعرفة إلى غير ذلك من أعمال الحج تقليداً واستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام في زوجه هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾"الآية 37 من

سورة إبراهيم"، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾"الآية 125 من سورة البقرة"، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾"الآية 127 من سورة البقرة"، وإسماعيل هو المذكور مع أبيه إبراهيم عليهما السلام في رفع قواعد البيت وتطهيره ولا ذكر لإسحاق عليه السلام، وها هي آثار دعوة إبراهيم ما زالت باقية يتردد صداها في أسماعنا ونراها شاخصةً أمام أبصارنا لا نشك في هذا أبداً، هذا ملخص الأدلة من القرآن وما زالت هناك آيات كثيرة تتعلق بهذا الموضوع أعرضنا عنها خشية التطويل ولا أدري إذا كان بعد هذا البيان بيان.

فصل الذبيح في السنة

أما ما جاء في السنة فهو دالٌ أيضاً على أن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطفيل - عامر بن واثلة -، قال: قلت لابن عباس: "يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رمل بالبيت، وأن ذلك سنة، فقال: صدقوا وكذبوا، قلت: وما صدقوا وكذبوا؟ قال: صدقوا، رمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبيت، وكذبوا، ليس بسنة، إن قريشاً قالت: زمن الحديبية: دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف، فلما صالحوه على أن يقدموا من العام المقبل، يقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمشركون من قبل قعيقعان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: (ارملوا بالبيت ثلاثاً) وليس بسنة قلت: ويزعم

قومك أنه طاف بين الصفا والمروة على بعير، وأن ذلك سنة، فقال: صدقوا وكذبوا، فقلت: وما صدقوا وكذبوا؟ فقال: صدقوا، قد طاف بين الصفا والمروة على بعير، وكذبوا، ليس بسنة، - أي الطواف على البعير -، كان الناس لا يدفعون عن رسول الله، ولا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه، ولا تناله أيديهم، قلت: ويزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سعى بين الصفا والمروة، وأن ذلك سنة؟ قال: صدقوا، إن إبراهيم لما أمر بالمناسك، عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، قال: قد تله للجبين - قال يونس: وثم تله للجبين - وعلى إسماعيل قميص أبيض، وقال: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه

غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: ﴿أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾"الآيتين 104-105 من سورة الصافات" فالتفت إبراهيم، فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين، قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش، قال: ثم ذهب به جبريل إلى الجمرة القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم ذهب به جبريل إلى منى قال: هذا منى - قال يونس: هذا مناخ الناس - ثم أتى به جمعاً، فقال: هذا المشعر الحرام، ثم ذهب به إلى عرفة، فقال ابن عباس: هل تدري لم سميت عرفة؟ قلت: لا، قال: إن جبريل قال لإبراهيم: عرفت - قال يونس: هل عرفت؟ - قال: نعم، قال ابن عباس: فمن ثم سميت عرفة، ثم قال: هل تدري كيف كانت التلبية؟ قلت: وكيف كانت؟ قال: إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج، خفضت له الجبال رؤوسها،

ورفعت له القرى، فأذن في الناس بالحج"، ورواه بطوله أبو داود الطيالسي في مسنده والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان ورواه مختصراً أبو داود في سننه وابن جرير في تهذيب الآثار والتفسير والتاريخ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبو عاصم الغنوي فهو من رجال أبي داود وثقه يحي بن معين ولم يجرحه أحد وذكره البخاري في التاريخ الكبير فقال: "أبو عاصم عن أبي الطفيل عن ابن عباس، قال الذبيح قال حجاج بن منهال عَنْ حماد بن سلمة"، وقال الذهبي في الكاشف: "وثق" وقال الحافظ في التقريب: "مقبول" فالحديث: حسن أو صحيح، لا سيما أن حديث أبي الطفيل عن ابن عباس رواه مسلم مختصراً من طريق عبد الملك بن سعيد بن أبجر، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس، ورواه مسلم وغيره من غير طريق أبي الطفيل كسعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس، فحديث ابن

عباس حديث محفوظ صحيح روي بطوله ورويَ مختصراً ورويَ مفرقاً، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن الذبيح فقال: "الصحيح أنه إسماعيل عليه السلام، وهو ما روي عن علي، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، ومعاوية بن أبي سفيان، ورواه من التابعين سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي جعفر محمد الباقر بن علي عليه السلام، وأبي صالح، وعمر بن عبد العزيز، ويوسف بن مهران، ومحمد بن إسحاق بن يسار"، وكان الحسن البصري يقول: "لا شك في هذا"، وقال عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه: "هو إسماعيل"، وحكاه البغوي في كتابه "مشكاة المصابيح" عن الربيع بن أنس والكلبي وأبي عمرو بن العلاء وحجتهم في ذلك ما رواه الحاكم في "المستدرك" وذكره كلٌّ من ابن جرير والثعلبي وابن مردويه في

تفاسيرهم عن معاوية بن أبي سفيان من حديث عبيد الله بن محمد العتبي قال: حدثنا عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم عليهم السلام، فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية بن أبي سفيان: "سقطتم على الخبير، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال، فعُد عليَّ بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينكر عليه"، فقلنا: وما الذبيحان؟ قال: "إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده، فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا: أرض ربك وافد

ابنك، قال: ففداه بمائة ناقة، قال: فهو الذبيح وإسماعيل الثاني"، وقد ذكره أيضاً القسطلاني في كتابه "المواهب اللدنية" وأقره الزرقاني في "شرح المواهب"، وفي هذا الحديث وحديث صفية بنت شيبة السابق الذكر حجة كافية لرفع كل إشكال، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾"الآية 7 من سورة الحشر"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)"رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه"، والقاعدة العامة عند الأصوليين والمحدثين تقول: "إذا جاء الخبر ارتفع النظر"، وصدق من قال:

ما جاء به الرسول حقه التسليم والقبول

أي إذا ثبت وصح الدليل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطل رأي الرجال، والتاريخ كما ذكرنا لا يقبل إلا وجهاً واحداً ولا يدخله النسخ ولا يرفع لأنه وقع ومضى، فيفهم من ذلك

أنه ليس كل ما يلمع ذهبٌ، ولا كل من جاء بقول أصبح له مذهب، فلا تغتر وتمسك بما جاء في صحيح الخبر واتبع ما صح من الأثر.

فصل في التحذير من الإسرائيليات

وأما قول من قال أن الذبيح هو إسحاق فمصدره في ذلك كعب الأحبار ومستنده هو الإسرائيليات، فإنه لما أسلم أيام الخلافة العمرية جعل يحدث الخليفة الثاني عن كتبه، فلربما استمع له الخليفة الثاني عمر فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا عنه الغث والسمين وقد تكلم النقاد على شخصية كعب الأحبار وحذروا من أقواله وما أدخل منها في مراجعنا لأنها مليئة بالإسرائيليات وهو ما صح وثبت عنه ومثله وهب بن منبه، قال ابن كثير في "البداية والنهاية": "وإنما أخذوه - أي أن الذبيح سيدنا إسحاق عليه السلام - من كعب

الأحبار أو صحف أهل الكتاب، وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولا يوجد في كتاب الله أدنى إشارة يُفهم هذا الذي نقلوه عن كعب الأحبار، انتهى كلام ابن كثير، **قلت أنا العبد الضعيف**: بل ما يفهم من القرآن، بالمنطوق والمفهوم وكذلك ما ثبت في السنة وهما متطابقان أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام كما بيناه آنفاً وهوما يعادل النص الصريح عند التأمل والتدبر والتفكر والنظر بمجموع الأدلة" ا.هـ، وقال ابن كثير في "البداية والنهاية": "وروي عن عمر، والعباس، وعلي، وابن مسعود، ومسروق، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومقاتل، وعبيد بن عمير، وأبي ميسرة، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن شقيق، والزهري، والقاسم بن أبي بزة، ومكحول، وعثمان بن حاضر، والسدي، والحسن، وقتادة، وأبي الهذيل،

وابن سابط، وهو اختيار ابن جرير وهذا عجب منه، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس أنه إسحاق، ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه إسماعيل عليه السلام، وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود" ا.هـ، ويؤيد ذلك قول عبد الرزاق في "المصنف": أخبرنا مَعْمَر عن الزهري أخبرنا القاسم قال: اجتمع أبو هريرة وكعب، فجعل أبو هريرة يُحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل كعب يُحدث عن كُتُب اليهود، فقال أبو هريرة: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإني قد خَبَّأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)، فقال له كعب: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟، قال: نعم، قال:

فداك أبي وأمي أو فداه أبي وأمي، أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه السلام؟، إنه لما أُريَ ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبداً، فخرج إبراهيم بابنه - إسحاق - ليذبحه، فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال: أين ذهب إبراهيم بابنك؟، قالت: غدا به لبعض حاجته، قال: لم يغدُ لحاجة، وإنما ذهب به ليذبحه، قالت: وَلِم يذبحه؟، قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قالت: فقد أحسن أن يطيع ربه، فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام: أين يذهب بك أبوك؟، قال: لبعض حاجته، قال: إنه لا يذهب بك لحاجة، ولكنه يذهب بك ليذبحك، قال: ولمَ يذبحني؟، قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فوالله لئن كان الله أمره بذلك ليفعلن، قال: فيئس منه فلحق بإبراهيم فقال: أين غدوت بابنك؟، قال لحاجة، قال: فإنك لم تغد به لحاجة وإنما غدوت به لتذبحه، قال: وَلم أذْبَحه؟، قال:

تزعم أن ربك أمرك بذلك، قال: فوالله لئن كان الله أمرني بذلك لأفعلن، قال: فتركه ويئس أن يطاع، وقد جاء في التوراة أن الله أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه الوحيد، **قلت أنا العبد الضعيف**: ومعلوم أن سيدنا إسماعيل عليه السلام وُلد قبل سيدنا إسحاق عليه السلام بثلاثة عشر سنة، ولكن حُرِّف بالنسخة المعربة إلى بِكرِه إسحاق، وهذا تناقض عجيب، فلفظة إسحاق مقحمة وتم إدخالها على النص؛ لأننا نحن وهم متفقون أن بِكر إبراهيم هو إسماعيل، ولكنهم من تعلم؟، ونحن غير مطالبين أن نرد عليهم بغير القرآن والسنة المطهرة، ولكنهم لا يؤمنون بذلك، فأتينا لهم بما يؤمنون به لكي لا ندع لهم حجة يتمسكون بها، وأوضح من هذا ما قاله ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو

خليفة إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك - قال محمد بن كعب القرظي: وأنا عند عمر بن عبد العزيز - فقال له عمر: أيُّ ابنَيْ إبراهيم أُمِر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمَر الله فيه ما كان، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما ابتلاه به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق، بكون إسحاق أبوهم، والله أعلم أيهما كان، وكلٌّ قد كان طاهراً طيباً مطيعاً لله عزَّ وجلَّ، ومن الأدلة الواضحة على أن إسحاق عليه السلام لم يكن هو الذبيح ما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾)، وَقَال: (بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو

الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر) قال أبو هريرة "تلك أمكم يا بني ماء السماء" "رواه البخاري"، قال ابن حجر في (فتح الباري): "قَوْلُهُ: "تلك أمكم يا بني ماء السماء"، كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل وقيل أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها قال بن حبان في صحيحه كل من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء؛ لأن إسماعيل ولد هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء، وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام وإباحة المعاريض"، وهو ما رواه البخاري في الأدب المفرد موقوفاً على عمران بن الحصين قال: (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) ورواه موقوفاً أيضاً عن عمر بن الخطاب بلفظ: (أما في المعاريض ما يكفي

المسلم من الكذب) قال الحافظ في الفتح: "قوله المعاريض وقع عند ابن التين المعارض بغير ياء وصوابه بإثبات الياء قال: وثبت كذلك في رواية أبي ذر وهو من التعريض خلاف التصريح وأخرجه الطبري في تهذيب الأثار والطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وأخرجه ابن عدي من وجه آخر عن قتادة مرفوعاً ووهاه، وأبو بكر بن كامل في فوائده والبيهقي في الشعب من طريقه كذلك، وأخرجه ابن عدي في الكامل من حديث علي عليه السلام مرفوعاً بسند واه أيضاً، وقال الجوهري: هو خلاف التصريح، وهو التورية بالشيء عن الشيء، وقال الراغب، التعريض كلام له وجهان في صدق وكذب، أو باطن وظاهر، انتهى، وأوضح من ذلك ما جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها

إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آللّٰه الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: رب ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾"رواه البخاري".

قلت أنا العبد الضعيف: وفي هذين الحديثين ما يدل بالمنطوق والمفهوم أن السيدة سارة عليها السلام كانت لا تلد وبعدما أخدمها فرعون السيدة هاجر عليها السلام وهبتها لسيدنا إبراهيم عليه وعلى رسولنا السلام فأنجبت السيدة هاجر عليها السلام منه بكرها وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ، رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، وهذا الغلام هو سيدنا إسماعيل عليه السلام كما مر معنا آنفاً، وقد جرى بين السيدة هاجر والسيدة سارة عليهما السلام ما يجري بين النساء الضرائر زيادة على أن السيدة هاجر كانت أَمة للسيدة سارة فالغيرة من السيدة سارة أقوى وأشد تجاه السيدة هاجر وهو أمرٌ جَلي وجِبلِّي وطبيعي بين النساء لا سبيل لإنكاره، فارتحل سيدنا إبراهيم عليه السلام بالغلام وبأمه إلى بلاد الحجاز

وذلك بعدما أُمره الله أن يسكنهما في بلاد قفر ووادٍ ليس فيه حسيس ولا أنيس ولا زرع ولا ضرعٍ ولا أصلٍ ولا فرعٍ، وهو المكان الذي ابتُليَ فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام علماً بأن سيدنا إسحاق عليه السلام لم يولد بعدُ وفق ما بيناه آنفاً وبهذا يكون البلاء أشد، فامتثل لأمر ربه في ذلك وتركهما هناك ثقةً بالله وتوكلاً عليه، فجعل الله لهما مخرجاً وفرجاً ورزقهما من حيث لا يحتسبان، وقصتهما معروفة في ذلك، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنه وبعد عودة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أرض فلسطين حيث توجد سارة عليها السلام شاء المولى سبحانه وتعالى أن يهبَ لسيدنا إبراهيم عليه السلام مولوداً أخر معجزةً له وإكراماً للسيدة سارة عليها السلام في تلك السن التي لا يلد فيها الناس عادةً بعد أن أصبح عمره قريباً من المائة سنة من

عمره عليه السلام وسارة عليها السلام قريبة من تلك السن أيضاً، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾"الآية 29 من سورة الذاريات"، وقال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾"الآيتين 71-72 من سورة هود"، والمعنى أن السيدة سارة عليها السلام قالت ذلك من التعجب، أي "أألد وأنا عجوز عقيم، وضربت وجهها لشدة استغرابها من ذلك"، و﴿ضَحِكَتْ﴾ هنا بمعنى: حاضت، لأن الضحك من أسماء الحيض.

قال ابن كثير في "البداية والنهاية": "وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ونُسب ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً، وليس ذلك

كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب - وعلى رأسهم كعب الأحبار -، وأُخذ ذلك مُسلماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه سيدنا إسماعيل عليه السلام، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ووصفُ سيدنا إسماعيل عليه السلام هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب للمقام، ولما بشرت الملائكة سيدنا إبراهيم بسيدنا إسحاق عليهما السلام قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾"الآية 53 من سورة الحجر"، وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾"الآية 71 من سورة هود"، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل، وقد قدمنا أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً وهو يعلم

أنه سيعقب فيصبح عند ذلك لا معنى لوقوع البلاء" انتهى بتصرف.

قلت أنا العبد الضعيف: الحِكمة من إنزال البلاء على الرسل والأنبياء إظهار قيمة الصبر عندهم للناس والتسلي عن هذه الدنيا الفانية، والرضا بقضاء الله وقدره من خلال امتثال أمره المطلق، قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي:

جَـــوَازُ الأَعْـــرَاضِ عَلَـــيْهم حُجَّتُـــهْ
وُقُوعُهَـــا بِهِـــم تَسَـــلِّ حِكْمَتُـــهْ

مع وجوب العلم بأن القرآن معجزٌ باللفظ والسياق والنسق والترتيب والمعنى وصياغة القصة لكي يكون لها أثرٌ عند المبتلى وفي نفوس السامعين، وهي المعجزة والحكمة المعتبرة لنا من قصص الأنبياء، وهذا لا يتأتى إذا قلنا أن سيدنا إسحاق عليه السلام هو الذبيح، فيتبين لك من خلال ما سردناه ورتبناه من

الأدلة القرآنية وما صح وثبت من الأحاديث النبوية والوقائع التاريخية والعرف والحال المُعاش في ذلك الزمان إضافة لما أتينا به من الضوابط الشرعية أن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، هذا ما ظهر لي من خلال ما التزمت به من توجيه الأدلة في تعيين اسم الذبيح لكي يتبين الصواب لكل طالب للحق مع زيادة إثراءٍ للموضوع عند مقارنته مع الذين سبقوني علماً ونبلاً وعملاً والله من وراء القصد، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر بنيتي التي كانت سبباً لما جادت به قريحتي وكذلك الأستاذ صلاح الذي تواضع وطلب مني أن أكتب في هذا الموضوع، والحمد لله على ما علم وفهم وفوق كل ذي علمٍ عليم.

قاله بلسانه وكتبه ببنانه

خادم العلم الشريف

أبو الفضل العباس

أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمن علمه ومن كان له فضلٌ عليه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللّٰهُمَّ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

إصدار

المركز الوطني للبحوث والدراسات
التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps

ISBN: 978-9938-78-758-0

مكانة بيت المقدس
عند المسلمين عامة
والفلسطينيين خاصة

بقلم
خَادِمِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ
أَبِي الْفَضْلِ العباس
أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُور قُرْطَام

كان الله له ولوالديه ولمن علمه ومن كان له فضل عليه

1430 هـ - 2009 م

ISBN: 978-9938-78-762-7

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرفنا وبوأنا أفضلَ بلاده، وأكرمنا فجعلنا من أتباع خيرِ عباده، والصلاةُ والسلامُ على خاتَمِ رسله وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين استنار بهم الوجودُ فكانوا خيرةَ أصفيائه.

أما بعد،،،

فإن مما هو معلوم عند العقلاء أن شرف العلم بالمعلوم، فكان أشرفُ العلوم وأفضلها على الإطلاق ما تعلق بالله سبحانه وتعالى، ومن خلقه ما تعلق برسله وأنبيائه وملائكته وأصفيائه، ثم ما يتعلق بما جُعل مستقَراً لأحبائه كمكة والمدينة وبيت المقدس مجمَع أنبيائه عليهم أفضل الصلاة والسلام، ثمَّ ما تعلق ببعض الشهور والليالي والأيام.

إنَّ أفضل خلق الله وأشرفهم وأكرمهم على الله تعالى هم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ميَّزهم الله سبحانه وتعالى عن سائر خليقته بعظيم نعمته، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾"الآية 86 من سورة الأنعام"، وفضَّل سبحانه وتعالى بعضهم على بعضٍ بِجَليلِ مِنَّتِه فقال جلَّ وعلا: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾"الآية 253 من سورة البقرة"، وأمَرَنا تعالى بتفضيل سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلائق بلا استثناء فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾"الآية 107 من سورة الأنبياء"، ومن المعلوم أن التفضيل إذا كان من قِبَلِ المُشرِّع لا يجوز لأحدٍ أن يخالفه، بل الواجبُ هو البحث والتفكير من أجل العمل على تنفيذ أمره تعالى، ومن هذا القبيل تفضيلُ بعض الأزمنة على بعض،

كتفضيل شهر رمضان على سائر الشهور، ويوم عرفة على سائر أيام السنة، وليلة القدر على سائر الليالي، ويوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، والساعة التي يستجاب فيها الدعاء على بقية ساعات اليوم، كذلك تفضيلُ بعض البقاع على بعض، كتفضيل السماوات على الأراضين، ومكة والمدينة وبيت المقدس على سائر بقاع الأرض، وما يخصنا في هذا البحث المختصر وفق ما طلبَ منا بعضُ الأفاضل هو مزيةُ بيت المقدس ومكانته عند المسلمين عامة، وفي قلوب الفلسطينيين خاصة، إذ هو المعنيُّ بهذه الرسالة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"الآية 1 من سورة الإسراء"، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾"الآية 71 من سورة الأنبياء"، وقال سبحانه:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾"الآية 81 من سورة الأنبياء"، اتفق المفسرون والفقهاء وعلماء التاريخ وغيرُهم أن المقصود من هذه الآيات هو بيتُ المقدس وما حوله، فكل ما حوله بورك لأجله وليس العكس، فبلاد الشام بوركت لأجله، وإن كان العلماء في تعريف حدود بلاد الشام على آراءٍ كثيرة ليس هذا محلُّ بسطها، فإنهم متفقون على أن مركز بلاد الشام وأوسطها بيتُ المقدس، فهُو مثل فاتحة الكتاب في الصلاة عند الجمهور، تجزئ قراءتها عن غيرها ولا تصح الصلاة بدونها، وهذا تشبيهٌ بليغٌ نصَّ عليه العلماء الأولياء العاملون المجاهدون مما فهموه من جملة الآيات والأحاديث التي تكلمت عن فضائل بيت المقدس خاصةً وبلاد الشام عامةً.

فضائل بلاد الشام

أما فضل الشام وأهلها فقد ورد فيه أحاديث كثيرة منها ما رواه شُرَيْح بْنَ عُبَيْد قَالَ: ذُكِرَ أَهْلُ الشَّامِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَهُوَ بِالْعِرَاقِ فَقَالُوا: الْعَنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عليه السلام: لا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ رَجُلاً، يُسْقَى بِهِمُ الْغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ الْعَذَابُ)"أخرجه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك، والطبراني في المعجم الأوسط والكبير، والضياء المقدسي في المختارة على الصحيحين، وابن عساكر في تاريخ دمشق"، والحديث له طرقٌ وشواهد كثيرة عند أكثر الحفاظ بسندهم إلى

صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال السيوطي "في كتابه الحاوي للفتاوي رسالة الخبر الدال على وجود القطب والنجباء والأوتاد والأبدال" ما نصه: "ورد في ذلك مرفوعاً وموقوفاً من حديث عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعوف بن مالك، ومعاذ بن جبل، وواثلة بن الأسقع، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وأم سلمة رضي الله تعالى عنهم، ومن مرسل الحسن، وعطاء، وبكر بن خُنيس، ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم ما لا يحصى" ا.هـ، وقال أيضاً في كتابه "النكت البديعات" بعد أن ذكر طرق الحديث: "ومثل ذلك بالغٌ حدَّ التواتر المعنوي لا محالة بحيث يقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة " ا.هـ.

فضائل بيت المقدس

وأما بيت المقدس فهو قلب بلاد الشام ومركزها، يصح أن يذكر بدلاً عنها، ولا يصح تسميتها بدونه بلا خلافٍ عند جميع العلماء، ففيه المحشر والمنشر يوم القيامة، وإليه مَهاجر سيدنا المهدي وقدوم سيدنا عيسى عليهما السلام، دلَّ على ذلك كثيرٌ من الأحاديث منها ما جاء عن السيدة ميمونة -بنت سعد- مولاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أرض المنشر والمحشر)"رواه أحمد في المسند، والطبراني في المعجم الكبير"، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم فيقول إمامهم: تقدم فيقول: أنتم أحق بعضكم أمراء بعض أمر أكرم الله به هذه الأمة)"رواه أبو يعلى الموصلي في المسند"، وقد ورد هذا

الحديث عن أكثر من عشرين صحابياً بألفاظ مختلفة فيها ذكر بيت المقدس إما بالتصريح أو التلويح كما نصَّ عليه الحُفاظ، فهو حديثٌ متواترٌ مفيدٌ للعلم اليقيني، ومن أنكر معناه بعد تحقق ثبوته وأنه هو المعنى المراد من الحديث فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه كما هو مصرح به في كتب العقائد عند السادة الأشاعرة والماتريدية، ومن هذه الروايات:

1- عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك)"رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والطبراني في المعجم الأوسط"، قال عمير: فقال مالك بن يخامر، قال معاذ: وهم بالشام، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول: وهم بالشام.

2- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟، قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس)"رواه الإمام أحمد".

3- عن مُرَّةَ البُهزي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، قلنا: يا رسول الله وأين هم؟، قال: بأكناف بيت المقدس)"رواه الطبراني في المعجم الكبير".

4- عن سلمة بن نفيل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الناس، يرفع الله قلوب أقوامٍ فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز

وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)"رواه الإمام أحمد".

5- وعن قرة بن إياس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، ولا يزال أناسٌ من أمتي منصورين لا يبالون من خذلهم حتى تقوم الساعة)"رواه الإمام أحمد".

فهذه بعض الألفاظ الحديثية التي توضح المعنى المراد من (الطائفة)، وقد ألف بحديث (الطائفة) شيخ شيوخنا الحافظ المجتهد أحمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله رسالة عجيبة سماها (الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة)، ولله در الإمام السيوطي حيث يقول "في كتابه ألفية علم الحديث":

وَخُذْهُ حَيْثُ حَافِظٌ عَلَيْهِ نَصّ
وَمِنْ مُصَنَّفٍ بِجَمْعِهِ يُخَصّ

وكذلك ما جاء من سُنيَّة شدِّ الرحال إلى المسجد الأقصى بسبب أو بلا سبب، قال صلى الله عليه آله وسلم: (لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)"رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، ورواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمر"، ومن ذلك استحباب الإحرام بالحج أو العمرة من المسجد الأقصى، فعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة)"رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه".

ومن ذلك أيضاً ما جاء في إسراج الزيت فيه فقد وَرَدَ عن ميمونة -بنت سعد- مولاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها

قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ائتوه فصلوا فيه - وكانت البلاد إذ ذاك حرباً - فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيتٍ يسرج في قناديله)"رواه أبو داود"، وتمثيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالزيت إنما جاء ليدل على وجوب الجهاد في هذه الأماكن بالمال لمن لم يقدر على الجهاد بالنفس، وهو استدلال بما هو أدنى على ما هو أعلى، وذلك من جوامع كلمه صلى الله عليه وآله وسلم، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾"الآية41 من سورة التوبة"، ومن ذلك أيضاً ما جاء فيه أنه قبلة المسلمين الأولى، لما رواه البراء بن عازبٍ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل

البيت -المسجد الحرام-)"رواه البخاري"، وهو شرح للآية التي تقول: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾"الآية 144 من سورة البقرة"، ومن ذلك فضيلة الصلاة في مسجده لما رواه أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة)"رواه البزار في مسنده البحر الزخار"، وروى أحمد في مسنده، والنسائي، وابن ماجه في سننهم، وابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما وكذلك الحاكم في المستدرك وصححه، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه خِلالاً ثلاثاً،

فأعطاه اثنتين، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد - يعني بيت المقدس - خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه)، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ونحن نرجو أن يكون الله قد أعطاه ذلك)، ومن ذلك أن منها ينتشر العدل آخر الزمان ويمحق الظلم، وهي أيضاً الأرض المبدلة التي لا جبال ولا وديان فيها يوم الحشر في هذه الدنيا عن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد)"متفق عليه"، ناهيك عما حصل فيها من جمع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته بهم إماماً، ومن ثم عروجه على سُلمِ المرقاة إلى السماء،

وهي أيضاً مهاجر كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغالب مدافنهم، إلى غير ذلك من الفضائل التي يصعب حصرها في هذا المقام، ولا ننسى أيضاً ما جاء في كثير من الأحاديث الصحيحة من ذكر اللد والخليل وبيسان وأريحا وبحيرة طبريا، وقدوم يأجوج ومأجوج، وقد أعرضت عن ذكرها خشية التطويل، كل ذلك مما يدل على مكانة و فضل بيت المقدس وما حوله وما يرتبط بهذه الأماكن من أحداث مصيرية للبشرية جمعاء تمس صلب العقيدة.

ذكر بعض التآليف التي اختصت ببيت المقدس

وبالرغم من جلالة مكة والمدينة وأفضليتهما على بيت المقدس عندنا معاشر المسلمين، إلا أنَّ ما جاء في بيت المقدس من الأخبار قرآناً وسنةً في فضله تفخيماً وتعظيماً يفوقهما معاً،

وقد ذكر في كل الكتب السماوية بدون استثناء، وهذا من أغرب ما عُرف في التاريخ، وقد أُلفت فيه تآليفٌ خاصةٌ مستقلة وهي كثيرة جداً من أنفعها: (ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام) لسلطان العلماء العز بن عبد السلام الشافعي، و(مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) لشهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي، و(الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) لقاضي القضاة أبي اليمن مجير الدين الحنبلي، و(فضائل بيت المقدس) للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي، و(إتحاف الأخِصا بفضائل المسجد الأقصى) لمحمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي المعروف بشمس الدين السيوطي وغيرهم كثير، وهناك من المعاصرين من جمع كتباً ووثقها بالصور وهي نافعة

جداً في بابها؛ لأنها وثقت كثيراً من المعالم التاريخية التي تمت إزالتها من قبل المحتلين.

وبعد هذا البيان الشافي من مصادر التشريع الثلاث: الكتاب والسنة والإجماع الدالة بمنطوقها ومفهومها على أهمية هذه البقاع عند الله سبحانه وتعالى، وعند رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

حكم الهجرة من بلاد فلسطين

وبناءً على ما تم تأصيله ونقله عن العلماء سلفاً وخلفاً فلا يجوز لأحدٍ أن يتهاون بشرع الله فيتلاعب بمصير البلاد والعباد لهوىً في نفسه، مع وجوب العلم أن الحق لا يسقط بتقادم العهد والزمان مهما طال، ولكن الواجب على الحكام الحكماء أن يتقنوا فنون السياسة الشرعية وأن يعرفوا غاية

المعرفة متى يكون الإقدام، ومتى يكون الإحجام، ومتى يُرتكب أخف الضررين للحِفاظ على ما تبقى من بلاد المسلمين لحين تغير الظروف والمعطيات الاستراتيجية، مع أهمية الإعداد لذلك علماً وعملاً، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾"الآية 60 من سورة الأنفال"، فيفهم من هذه الآية أن الإعداد واجبٌ، وهو يختلف من زمانٍ إلى زمان، ومن مكانٍ إلى مكان، والآية بعمومها دالةٌ على ذلك دلالةً صريحةً؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكذلك عملاً بالقاعدة التي تقول: "ما أدى إلى الواجب فهو واجب"، لذلك اتفق العلماء على أن الهجرة من هذه الأماكن خاصة ومن بلاد المسلمين عامة

محرمةٌ من غير سبب شرعيٍ وجيهٍ، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية)"رواه البخاري ومسلم"، وعن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة في بيت المقدس أفضل أو الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه)- ثم زيد في الفضل جمعاً بين الأحاديث- (وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى في أرض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولَقِيدُ سوط - أو قال - قوس الرجل- "وفي رواية: سِيَةَ قَوْسِه، وفي رواية: شَطَنِ فَرَسِهِ-" حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو أحب من الدنيا جميعاً- "أو قال خير من الدنيا وما فيها")"رواه الطبراني في الأوسط والطحاوي في مشكل الآثار والحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في شعب الإيمان والضياء المقدسي في المختارة على الصحيحين"، والقِيْد:

بكسر القاف معناه القَدْر، والسِّيَة: ما عُطف من طرَفَي القوس وهما سيتان، والشَّطَن: الحبل، وهذه الألفاظ كناية عن أي مكان مشرف على بيت المقدس مهما كان صغيراً، والحديث فيه غاية التحريض على مجاورة بيت المقدس بالسكن فيه وعدم الهجرة منه، وفيه علامة من علامات النبوة بالإشارة إلى ما حدث ويحدث الآن من تهجير المسلمين قسراً من بيت المقدس.

وقد ذكر العلماء جملة من الأسباب التي تُبيح الهجرة من بلاد المسلمين إلى غيرها من البلدان ومن أهمها: طلب العلم الذي يحتاجه الناس بكل أنواعه، وخاصة علم الدين؛ لأن الهجرة إليه واجبة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾"الآية 122 من سورة

التوبة"، ولكن لا بد للخارج منها أن يكون مستحضراً نية العودة إليها بعد انتهائه، ولا يضره إن مات أو قُتل أو مُنع من القدوم إليها بعد ذلك، ومن أجل المحافظة على الدين حتى ولو إلى بلاد الكفر، واشترطوا بأن لا يكون هذا إلا للضعفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾"الآية 97 من سورة النساء"، وكذلك الهجرة خوفاً من ظالم أو طلباً للعلاج للحفاظ على النفس، وغير ذلك من الأسباب المشروعة للهجرة بالشرائط المعتبرة مع استحضار نية العودة إلا إذا كان السبب نشر الدين فلا يلزم من ذلك العودة وإذا مات على ذلك فهو شهيد آخرة وكما هو مشاهد في بلدان شرق آسيا مثل ماليزيا وإندونيسيا وسنغافورة وغير

ذلك من البلدان التي عم فيها الإسلام بسبب الهجرة إليها ونشر الدين فيها وهو الجهاد الأكبر.

حكم التجنس بجنسية غير المسلمين

وقد جاء الشرع الإسلامي منفتحاً على كل الأمم شرط أن يؤثر هو فيها لا أن تؤثر هي فيه، فلا مانع أن يتأثر المسلم بحضارتها، وكل ما يدل على التطور والترقي فيها؛ لأن شرعنا يوجه إلى تطوير كل مناحي الحياة، ومن هذا تعلَمُ أن تَعُلمَ لغة العدو لكي نسلم من شره، وتعلم لغات الأمم لإتقان التعامل معها واجبٌ كفائي، ولا يكون هذا إلا بالتعرف على هذه الأمم والشعوب ومخالطتها، وذلك لا يصح إلا للأقوياء عقيدةً وفهماً ونبلاً، ويعمم من خلالهم كل ما هو نافع من حضارة غيرنا للسواد الأعظم من المسلمين "انظر كتاب حكم الإقامة ببلاد

الكفار وبيان وجوبها في بعض الأحوال: لشيخنا السيد المحدث الأصولي الصوفي عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله وجزاه عنا وعن المسلمين خير ما يجازى عالم عامل بعلمه"، ولا يجوز للمسلم في حال مخالطته لهذه الأمم والشعوب أن يحمل جنسيتها إلا لضرورة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾"الآية 141 من سورة النساء"؛ لأن في حمله لتلك الجنسية إقرارٌ لقانونها الذي يخالف القانون الإسلامي، وهذا لا يتنبه إليه كثيرٌ من الناس اليوم، لاسيما الذين يتصدرون للفتوى والعلوم الشرعية" انظر كتاب التجنس: للإمام محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي رحمه الله"، وهي مسألة في غاية الدقةِ والأهمية؛ لأن التجنس بجنسية الكافر والمعبر عنه عند القدماء بالرضا بحكم الآخر بلا سببٍ شرعيٍ وجيه يُباحُ من خِلالهِ حمل جنسية غير المسلم، وإلا قد

يؤدي بالمتجنس إلى الوقوع فيما لا تُحمد عقباه من الكبائر، بل واعتبروه مروقاً من الدين وذلك عملاً بقاعدة "الرضا بالكفر كفر" "كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار للإمام تقي الدين الحصني الحسيني الشافعي: كتاب الجنايات، ص/ 739" وإن لم يقصده، إلا أن يكون مضطراً، والضرورة عندنا تبيح المحظورة ما لم يكن لها بدل، والضرورة تقدر بقدرها عندنا وتنتهي بانتهائها، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾"الآية 106 من سورة النحل"، فما بالك بمن يفرُّ أو يلجأ إليها بلا سببٍ شرعيٍ وجيه على وفق ما فصلنا!!! ناهيك عما يسببه هذا الفرار من إضعافٍ وخذلانٍ لإخوانه من المؤمنين كما نص عليه الفقهاء في باب الجهاد وكما هو مستقراً عبر أحداث التاريخ.

خاتمة

إنَّ مما لا يُستغنى عنه في هذا المقام التحذير من بعض الكتب التي تُنزل فيها الآيات والأحاديث على غير المعنى المراد الذي فهمه السلف الصالح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الخلف المتبعون لمنهج السلف، فتنزل على أحداث تقع في هذا الزمان وهي غير متطابقة بل مخالفة كل المخالفة لأقوال من سبق ممن ذكرنا، فيؤدي ذلك إلى مخالفة ما جاء في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإلى مخالفة ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم من كل ما يقع من أحداث في المستقبل، وكما هو معلوم عند علماء الأَصلَين "أصول الاعتقاد وأصول الفقه "والفقهاء والمحدثين والمفسرين" لأَن يُخَطأ كل الناس ولا يُخطأ القرآن ولا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"، ومن هذا القبيل

خطأ غالب المعاصرين في تفسير آية بني إسرائيل بأن نُزلت على الذين يغتصبون أرضنا اليوم، مع العلم بأن العلو المذكور في القرآن بِفَصْلّيهِ قد وقع وتمَّ تحققه وحدوثه قبل تأسيس هذه الدولة الغاصبة بأكثر من ألف وخمسمائة سنة "انظر كتاب بيان صحيح الأقاويل في تفسير آية بني إسرائيل: للإمام الأصولي المفسر والفقيه المحدث المتفنن في شتى العلوم السيد عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله"، فعن عطية العوفي قال: "أفسدوا المرة الأولى، فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم، وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام، فبعث الله عليهم بختنصر" "رواه ابن أبي حاتم في تفسيره"، ولكن يبقى لنا قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾"الآية 167 من سورة الأعراف"، وقوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ

يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾"الآية 8 من سورة الإسراء"، فهاتان الآيتان أبلغ في الاستدلال على زوال دولة اليهود؛ لأن معناهما يفيد الاستمرار والتجدد في كل الأزمان حتى يأتي أمر الله، ومن الأحاديث ما جاء عند البخاري من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ)، وما مرَّ معنا سابقاً من ذكر الطائفة المنصورة يوضح المعنى المراد من الآيتين السابقتين، ومن المعلوم بداهةً أن السنة مُبينة للقرآن ولا تضاد في شرعنا بينهما؛ لأنهما من عند الله تعالى، فالأول جاء وحياً بعين اللفظ، والثاني بالمعنى، وبينهما الحديث القدسي، وما جاء في القرآن والسنة وإجماع أهل الحل والعقد من علماء المسلمين فيه غنى عن كل ما قيل ويقال، وقد ذكر محدث المغرب الأصولي

الناقد الصوفي السيد عبد العزيز الغماري الحسني رحمه الله في رسالته "الأربعون العزيزية فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت" ما نصه: "هناك أحاديث لم يظهر بعد ما تدل عليه وتشير إليه وهو واقع لا محالة كما وقع، وتحقق ما جاء الخبر به في الأحاديث الأخرى، فلا ينبغي تكلف شرحها، وحمل ألفاظها على المعاني البعيدة عنها التي يبدو عليها التكلف وعدم المطابقة للمعنى، كما سبق من العلماء الذين تناولوا هذه الأحاديث بالشرح، بل يجب ترك شرحها للمستقبل فهو الكفيل بذلك، وما سوى ذلك فتكلف لا معنى له" ا.هـ.

كل ذلك حتى لا يكذب شرع الله؛ لأنه وحي لا يقبل إلا الصواب، وأما أقوال الناس فخطؤها أكثر من صوابها، وما ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأحداث التي ستقع بين يدي الساعة هو من قبيل الخبر المتواتر الذي لا يقبل إلا

الصدق، وهؤلاء الذين كتبوا في تفسير ما يقع من أحداث اليوم قد خبطوا خبط عشواء وساروا مسير ناقة عرجاء، فوقعوا وأوقعوا الناس في مخالفة صِدق الخبر الذي جاء على لسان من لا ينطق عن الهوى، فإن كانوا يقصدون بتفاسيرهم زوال دولة إسرائيل الزوال المؤقت فإنَّ هذا حصل على يد كثيرٍ من غير المؤمنين كجالوت وبختنصر، كذلك تسلط عليهم هتلر في القرن الماضي، أما إذا قصدوا الزوال الحقيقي والدائم فهذا لا يكون إلا على أيدي عبادٍ ربانيين أتقنوا الدين قولاً وفعلاً، وإن كانت بوادره موجودة إلا أنه لم يستوفِ كامل الشروط حتى يتحقق ذلك الآن، ولا نظن أنهم قصدوا المعنَيَيْن معاً؛ لأن ذلك غير واضحٍ في كتبهم، هذا إن كانوا يعرفونه أصلاً، زيادةً على أن هذه التفاسير والتنبؤات التي جاءوا بها تخالف ما قررناه سابقاً، مستغلين فيما كتبوه أسماء بعض الزعماء المعاصرين وبعض

المجاهدين لكي يضمنوا أن لا يتعرض لهم أحد بالرد والتوبيخ والتجهيل، وقد غاب عنهم أن المجاهد في سبيل الله بماله ونفسه وولده وكل ما يملك، لذلك فإن كل من دعا إلى الحق هو بغنى عن كل ما نسبوه إليه، كما أن لهذه التفسيرات والتنبؤات آثار سيئة عند العوام تزرع الأمل الواهم في نفوسهم، فإذا ما تبدد ذاك الوهم أصيب الناس بالإحباط الذي يسعى العدو بكل إمكانياته إلى تحقيقه فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، ونقدم له بذلك خدمة لطالما انتظرها، فإلى الله المشتكَى، ملاذِ الخائفين وجارِ المستجيرين وأمانِ الخائفين ودليل الحائرين وناصرِ المظلومين المستضعفين وقاهرِ الجبابرة الطغاة المتمردين، وأنت من وراء القصد يا الله.

وكتب

خادم العلم الشريف

أبو الفضل العباس

أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمن علمه ومن كان له فضل عليه،

غزة الأعزة يوم الأربعاء 11 جمادى الأولى 1430 هجري

الموافق له 6 مايو 2009 رومي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللّٰهُمَّ على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

فائدة تاريخية وتنبيه

هناك فرق بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكثير من الناس أصبحوا لا يميزون بينهما

فالمسجد الأقصى وهو الظاهر في الصورة أمامنا:

1. ثاني مسجد وضع على الأرض فعن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض؟ قال (المسجد الحرام) قلت: ثم أي؟ قال: (المسجد

الأقصى) قلت: كم بينهما؟ قال: (أربعون عاماً)"رواه مسلم"، وقد تم تجديد عمارته عدة مرات في التاريخ الإسلامي.

2. أولى القبلتين لما رواه البراء بن عازبٍ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم "صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت - المسجد الحرام-" "رواه البخاري".

3. مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾"الآية 1 من سورة الإسراء".

4. صلى فيه جميع الأنبياء لما جاء عن ابن عباس قال: "لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسجد الأقصى قام يصلي

فالتفت ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه" "رواه أحمد".

5. إليه تُشد الرحال فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى)"رواه مسلم".

6. الصلاة فيه بخمسمائة صلاة لما رواه أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة)"رواه البزار في مسنده البحر الزخار".

7. أما مما طرأ في هذا الزمان قيام قوات الاحتلال الصهيوني بالتقسيم الزماني والمكاني فالتقسيم الزماني وهو أن يصبح مواعيد محددة لليهود لكي يدخلوا إلى المسجد الأقصى وساحاته

وهذا واقع في أيامنا هذه، وأما التقسيم المكاني وهو أن يصبح المسجد الأقصى كنيس لليهود، ويصلي المسلمين بمسجد قبة الصخرة، وتحت المسجد الأقصى تجري الحفريات منذ زمن بعيد ليتحقق لليهود شيء يتمسكون به حسب ما يدعون.

أما قبة الصخرة وهي الظاهرة في الصورة أمامنا:

1. بناها عبد الملك بن مروان أحد ملوك بني أمية المولود سنة 26 هجري والهالك سنة 86 هجري، وقد شَرَعَ في بنائها سنة تسع وستين للهجرة وكَمُلَ البناء منها في السنة الثانية والسبعون للهجرة.
2. السبب في بناؤها ذكره ابن كثير في البداية والنهاية "أن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج نكايةً بعبد الله بن

الزبير فضجوا، فبنى القبة على الصخرة ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم، وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يوم العيد ويحلقون رءوسهم، ففتح بذلك بابٌ على نفسه بأن شنع عليه عبد الله ابن الزبير بمكة، وقال: ضاهى بها فعل الأكاسرة في إيوان كسرى، والخضراء - وهو قصر من قصور معاوية بالشام-، كما فعل معاوية".

3. تقع في فناء المسجد الأقصى.

4. يحرص الصهاينة على توجيه الإعلام نحو قبة الصخرة وتبيانها للعالم وكأنها هي المسجد الأقصى.

فهرس رسالة

القول الصحيح في تعيين اسم الذبيح

- المقدمة..... 3
- فصل الذبيح في كتاب الله عز وجل..... 7
- فصل الذبيح في السنة.....17
- فصل في التحذير من الإسرائيليات.....24

فهرس رسالة

مكانة بيت المقدس عند المسلمين عامة والفلسطينيين خاصة

- المقدمة.....44
- فضائل بلاد الشام.....48
- فضائل بيت المقدس.....50
- ذكر بعض التآليف التي اختصت ببيت المقدس.....58
- حكم الهجرة من بلاد فلسطين.....60
- حكم التجنس بجنسية غير المسلمين.....65
- خاتمة.....68
- فائدة تاريخية وتنبيه.....75

إصدار

المركز الوطني للبحوث والدراسات
التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps

ISBN: 978-9938-78-762-7